

الفن القصصى فى القرآن

للأستاذ عبد المتعال الصعدي

—•••••—

وأخيراً عزمنا أن أكتب فى هذا الموضوع ، بعد أن رأيت الذين كتبوا فيه لم يتناولوه من الناحية التى يجب أن تتناول فيه ، وتحميل الخطأ ، وليس خطأ فلا يسمه إلا أن يعترف به ، وهذا هو الذى يجب أن يؤخذ به الخطأ فى الإسلام ، لأنه دين الإقناع ، ولأن وسيلته هى الدعوة بالحكمة والموعظة الحسنة ، فإذا جاوز من يريد الدفاع عنه هذه الوسيلة أضربه من حيث يريد نفعه ، ولا سيما فى هذا العصر الذى صار الناس يعقنون فيه هذه الوسائل فى المسائل الدينية ، ويأخذونها على أصحابها أقصى مؤاخذه وإني أحب أن أنبه الذين يتخذون هذه الوسائل إلى أنها تؤدي إلى عكس ما يقصدون ، وتحمل بعض الناس على أن يشتط فى رأيه ، ليقسوا فى الحجة عليه ، ويذهبوا إلى أنه ملحد يجب أن يساقب أشد عقاب ، فيصير فى نظره ونظر بعض الناس مثل غاليو وغيره من فلاسفة أوروبا ، فقد اضطهدهم رجال الدين فى أوروبا على بعض آرائهم ، فصار هذا الاضطهاد محمداً من محامدهم ، وصار مذمة لمضطهديهم .

فلنتقصر على نمطية من يذهب به عندنا حب الشهرة إلى مثل ذلك الشطط فى الرأى ، ولنبتخل عليه بما يريد من رميه بالإلحاد والزندقه ، حتى لا نمكنه من أن يظهر بين الناس بما يحب ، أو يجعل نفسه ضحية من ضحايا الرأى ، فليس أوجع فى نفسه من أن تأخذه فى رفق حتى نبين للناس خطأه ، وحتى يرى أنه لا سبيل له إلا أن يعترف بالخطأ فيعترف ، فإن لم يعترف على نفسه كفاه حكم الناس عليه ، وللناس عقول تفهم ، والحلال بين والحرام بين .

لقد أراد بعض الناس أن يرد على صاحب رسالة الفن القصصى فى القرآن ، ففتحوا أمامه المجال فى الرد عليهم ، فأردت أن أقوم بما يجب على فى هذا الموضوع ، ليصل الناس فيه إلى رأى حاسم ، وينصرفوا عنه إلى ما هو أجدى عليهم ، ويعرفوا أن صاحب هذه الرسالة لم يكن له أن يطفر إلى الكتابة فى موضوع القرآن ، وهو مجهول تعريف التناقض فى المنطق ، ويبنى على جهله به حكماً

خطيراً فى قصة إبراهيم عليه السلام ، كما جاء فى التقرير الذى رفقه الأستاذ أحمد أمين إلى عميد كلية الآداب ، وقد نشر بالعدد ٧٤٤ — من مجلة الرسالة الغراء^(١) ، وهو يدل على مستوى صاحب هذه الرسالة فى العلم ، وعلى أنه جرى فى رسالته على هذا المنوال ، فقذف بنفسه فى بحر لا يحسن السباحة فيه ، ولم يخض فيه إلا غول العلماء ، وأكابر الحكماء ، من الطبرى إلى الرغزى إلى الرازى ، إلى أمثالهم فى علمهم وحكمهم .

فقد ذكر الأستاذ أحمد أمين فى تقريره أن صاحب هذه الرسالة يرى أن القصة فى القرآن لا تلزم الصدق التاريخى ، وإنما نتجه كما يتجه الأديب فى تصوير الحادثة تصويراً فنياً ، بدليل التناقض فى رواية الخبر الواحد ، مثل أن البشرى كانت لإبراهيم أولاً ثم رآه .

فدعوى هذا التناقض تدل على أن صاحب هذه الرسالة لا يعرف تعريف التناقض ، وعلى أنه سار فى رسالته بهذا العلم الذى لا يزال فى طور الطفولة ، فضل الصواب ، وخطب خطب عشواء ، والقرآن أجل من أن يتناول بمثل هذا العلم ، وأخطر من أن يحكم فى مسأله من لا يزال مجهول تعريف التناقض

لقد قال الله تعالى فى البشرى بهذا الغلام (وامرأتها قاعة فضحك فبشرناها بإسحاق ومن وراء إسحاق يعقوب) الآية — ٧١ — من سورة هود ، وفى هذه الآية كانت البشرى لسارة امرأة إبراهيم عليه السلام

ثم قال فى هذه البشرى (قالوا لا توجل إنا نبشرك بغلام عليم) الآية — ٥٣ — من سورة الحجر ، وقال (فبشرناه بغلام حليم) الآية — ١٠١ — من سورة الصافات ، فكانت البشرى فى الآيتين لإبراهيم عليه السلام .

فهل تبشير سارة مرة بهذا الغلام وتبشير إبراهيم مرة به من التناقض الذى يصح أن تضرب به قصة إبراهيم مثلاً للقصة التى لا يلزم فيها الصدق التاريخى ؟ اللهم لا ، لأن التناقض اختلاف قضيتين فى الإيجاب والسلب اختلافاً يلزم لذاته من صدق إحدى القضيتين كذب الأخرى ، فلا بد فيه من الاختلاف فى الإيجاب والسلب ، ولا بد فيه من الاتحاد فى الموضوع والمحمول وقبولهما ، وليس فى هذه القصة اختلاف فى قضية البشرى من جهة الإيجاب

(١) قد اعتمد الأستاذ أحمد أمين فى رأيه فى هذه الرسالة على أن ما فيها من الجهور ، وهذا قد بد منه تهرباً عن إبداء الرأى الصريح فيها .